G. H. Jansen, **Why Robert Kennedy was killed** (N. Y., The Third World Press, 1971).

عندما وصل نبأ اغتيال جون ف. كينيدي القدس ، كان الاولاد الصغار الممتلئون حيوية يملأون شوارع المدينة القديمة بصيحاتهم الناعمة كزقزقة عصافير الدوري . فما أن سمعوا بالنبأ حتى مضغوا صيحاتهم اللامعة وصمتوا ليتناقلوا النبأ بلهجة رزينة قاتمة ، كما لو أن مصرع الرئيس الاميركي كان محنة المت بهم . بعد ذلك بسنوات أربع ، عندما اغتيل كينيدي الثاني ، كان معظم الاولاد قد هداوا الى طيلة حياتهم بفعل الموت او الحرب او مساحات الصمت الشاسعة التي تلف مخيمات اللاجئين أينما كانت . لقد كانوا على خطأ اذ ندبوا موت أحد آل كينيدي ، الذي كان يكفل لهم مصيرهم وهو في الرئاسة ، فهل كان أخوهم الاكبر على خطأ اذ قتل واحدا آخر من آل كينيدي قبل ان يتسلم السلطة فيدمر من الفلسطينيين جيلا آخر ؟ للمرة الاولى ، تخطت ذكرى فلسطين المعذبة حدود العالم العربي والعالم الاسيوي لترتطم برضى النفس الرائق والجهل السهل اللذين يعيش في ظلهما أقوى وأغنى قتلة فلسطين .

قبل ان تقوم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعمليات اختطاف الطائرات ، وقبل أن يقع الكثير من الاعمال الانتحارية اليائسة التي أصبحت شبحا يقض مضجع الغرب ، قام الفدائي المتوحد في وحشته ببادرته التي فقدت كل أثر لها ، أولا لان أحدا لم يدعمها سياسيا ، وثانيا لان اغتيال واحد من ساسة الولايات المتحدة لن يفعل شيئا . فهم جميعا ، حيث تتعلق المسألة بفلسطين ، يختلف الواحد منهم عن الاخر في درجة الظلم والصفاقة والمخاتلة الرخيصة . لقد كان الانطباع الذي أعطوه للمفكرين العرب هو الامتهان الكامل للقيم ، والعجز الكامل عن تحمل تبعات اعمالهم ، والشعوذة الكلامية القميئة المرة والتلاعب بالجمل المعهودة لتبرير انفسهم ، والعرقية التي تستحق قدرا اكبر من الاحتقار لكونها سهلة ومقبولة اجتماعيا . ان قادة « العالم الحر » بحاجة الى « درايدن » او بابا . فليست الطلقة هي التي تستطيع ايقافهم او تعليمهم .

كان سرحان يعيش في الولايات المتحدة خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، حينما كان من الصعب على فلسطيني أن يمنع المشاعر من التغلب على التفكير. لقد قرأت مقتطفات من الصحافة الاميركية بعد شهرين من الحرب وكنت أحتمي بالمجتمع العربي. ورغم ذلك احتجت بعض الوقت لأشفى من تلك التجربة . ولا بد ان العيش حينذاك وسط العرقية الهستيرية والتعصب الذي اجتاح اميركا كان تجربة مؤلمة ، من الواضح انها كسرت شيئا ما في نفس سرحان.

والد سرحان من قرية الطيبة ، ولكن العائلة عاشت في القدس حتى حرب ١٩٤٨ . وكان بشارة سرحان موظفا في دائرة الاشغال العامة التابعة لحكومة الانتداب البريطاني ، وهو مثال جوهري لذلك النوع من الفلسطينيين الذي يخاف الله ويلتزم القانون والذي«كان يبدي تعاطفا خاصا مع...عدالةوانصاف وانتظام ونظام الادارة » والذي لم يكن باستطاعته مجابهة الصراع القاسي على فلسطين . ولا شك ان هناك مفارقة رمزية بين الاب الذي لا يزال يقرأ التوراة وحيدا في البيت الحجري الذي ابتناه لنفسه قبل حرب حزيران والولد الذي دفعته معاناته العذاب لان يصبح قاتلا . فحياتهما تصور على نحو مبسط جدا الشرخ في السلوك الوطني الفلسطيني .

في عام ١٩٤٧ ، كان سرحان لما يبلغ الرابعة بعد ، وحينئذ خاض اول تجربة فلسطينية له عندما القى الصهيونيون بقنبلة خارج باب العامود المزدحم . لم يصب الطفل بأذى . ولكنه ، اذ سار بين الجثث المهروسة وعبر الدم وصيحات الالم ، قال لوالده « لا اريد ان أرى هذا » . فتناول الاب منديله وربطه على عيني الطفل وحمله الى البيت . لكن الطقوس المثيرة لم تنته عند هذا الحد . فقتل أخوه الاكبر عندما كان له من العمر ثماني سنوات بينما كانا يلعبان سوية . وقتل الجيران . ومرة انفجر لغم في صهيوني بينما كان يزرعه ضد البريطانيين فظلت رجله تتدلى من برج جرس الكنيسة المجاورة وعثر على اصبعه في ساحة بيت سرحان . « وعندما رأى سرحان ذلك شحب حقا » . كذلك رأى الطفل مسيرة الفتيات العاريات من دير ياسين اللواتي قطع الصهيونيون اثداءهن قبل ان يضعوهن في شاحنات الاغنام ويجوبوا بهن شوارع القدس لارهاب الفلسطينيين الذين تخلفوا عن النزوح .